

الباب الأول

نظرات في تاريخ التبغ

الدخان

دلت الدراسات والحفريات الأثرية في المكسيك على أنه كان للتبغ دور كبير في الاحتفالات الدينية عند الشعوب التي كانت تقطن هذه البلاد..

وكانت عادة التدخين منتشرة في المكسيك قبل أكثر من ٥٠٠ ق.م، ومن هناك وجدت طريقها إلى جنوب أمريكا حيث شاع استعمالها بين الهنود الحمر.. وقد ذكر كريستوف كولومبس وزملاؤه الذين اكتشفوا أمريكا الوسطى وغيرها من بقاع الدنيا الجديدة، قد ذكروا أنهم عندما دخلوا إلى /جواناهامي/ في سان سلفادور عام ١٤٩٢ شاهدوا الهنود الحمر من سكان هذه البلاد يدخنون التبغ على شكل لفائف من أوراقه باسعال أحد طرفيها مع وضع الطرف الآخر في الفم..

ويقول هؤلاء، إن المدخنين تظهر عليهم مظاهر الارتياح واللذة، وكانت حجتهم في ذلك أن عملية التدخين هذه تعتبر مصدراً للاستمتاع ووسيلة للتسلية، كما كانوا يعتقدون أنها مشجعة على العمل ومريحة للأعصاب، نتيجة للاستمتاع برائحة ونكهة دخان هذا النبات التي تسبب اعتدال أمزجتهم..

وكلمة Tobacco أي التبغ مشتقة من اسم الغليون الذي كانوا يستعملونه فيستنشق المدخن منهم الدخان من غليون له ثلاثة أطراف كالحرف اللاتيني Y واضعاً طرفيه العلويين في منخريه، وكان التبغ يستعمل إما مضغاً أو بشكل العاطوس، أو بالغليون أو بشكل أنابيب

ورقية طولها ٨ - ١٠ سم تدعى سيكاروز Cigarros . .

كان من نتائج رحلة كولومبس الثانية أن ظهر التبغ وعرف عنه الكثير، وذلك بواسطة القس الاسباني /رومانوبانو/ الذي كان عضواً في هذه المرحلة، وكتب رسالة ١٤٩٧ أوضح فيها عادات سكان هذه المناطق المكتشفة ومنها الطريقة التي كانوا يستخدمونها في تدخين أوراق التبغ. (سعد، ١٨٠)

وكانت اسبانيا أول البلاد الأوروبية التي زرعت هذا النبات عام ١٥١٨ بواسطة بعض مكتشفي الدنيا الجديدة الذين أحضروا البذور معهم. . ويعتبر /توليدو/ أول من نقل البذور وكانت تزرع أولاً في الحدائق للزينة من أجل زهورها، أما أوراقها فاستعملت في الطب. . ومن اسبانيا انتقلت زراعة التبغ واستعماله وتعاطيه إلى المستعمرات التابعة لاسبانيا ثم انتقل هذا إلى البلاد المجاورة لها. . فانتشرت زراعته في البرتغال ومنها إلى فرنسا بفضل /جان نيكوت/ عام ١٥٥٨ - ١٥٥٩ الذي كان سفير فرنسا في البرتغال. . وكان معروفاً في ذلك الوقت بقيمته من الوجهة الطبية خاصة في علاج آلام الرأس، فتعاطته ملكة فرنسا/ كاترين ديمدسيس/ وتبعها جميع أفراد البلاط. .

ولم يمض وقت طويل حتى أخذت عادة تناول التبغ سعوطاً تعم جميع الطبقات، وسميت بالأعشاب المقدسة أو بأعشاب الملكة ومسحوقها بمسحوق الملكة وأطلق عليها الشعب بعد ذلك اسم النيكوتين نسبة إلى اسم السفير الذي أدخلها إلى البلاد. .

وقد جاء دور انجلترا في زراعة التبغ واستعماله متأخراً إلى عام ١٥٨٤، ويقال أن السير/ولتر ويلي/ هو أول من أدخل التبغ في انجلترا من فرجينيا بأمريكا في هذا العام، وبعد وصول التبغ إلى البرتغال وفرنسا وانجلترا أخذ ينتشر في جميع البلدان وبين جميع الطبقات، ثم وصل

إلى ألمانيا بعد الحرب الثلاثينية حيث نقله الجنود العائدون من الحرب. . وعن طريق جنوة وفنيسيا وصل إلى الشرق كما وصل عن طريق تركيا إلى النمسا وروسيا. .

وقد دخل إلى اليابان بواسطة البرتغاليين الذين رحلوا إليها لنشر الدين المسيحي في القرن السادس عشر.

وأما في مصر فكان أول دخول التبغ بها عام ١٦٠١-١٦٠٣ وزاد استيراده زيادة كبيرة في عام ١٧٣٧، ومن مصر إلى الحجاز واليمن والشام والهند وغيرها من بلاد الاسلام.

ولم يكتشف النيكوتين إلا عام ١٨٢٨م، من قبل العالمين الألمانين /بوسلت ورايمان/ من جامعة هايدلبرج، وأول من أجرى تجربة لدراسة سم النيكوتين هما العالمان النمساويان /دوفورزاك وهانيريش/ على نفسيهما، في العاصمة النمساوية /فيينا/ سنة ١٨٦٨م، وأما تركيب النيكوتين الكيماوي فقد اكتشفه سنة ١٨٨٣م العالم الكيماوي /ببئر/ .

وكأن التدخين والأمراض الناجمة عنه كان الضريبة التي ستدفعها الشعوب نتيجة دخول الغرباء إلى أرضهم، وكأن التدخين هو لعنة الهنود الحمر التي تلاحق الحضارة الحديثة!!
